الإسلام المدني

وإستعادة الإنسان العربي لدوره في الحضارة العالمية المعاصرة

أ .د / محمد زياد حمدان

مقدمة

معطيات مبدئية لمدنية الاسلام والمسلمين

مفهوم وممارسة الدين المدني - نظرة فلسفية وعملية تحليلية

آليات عمل الاسلام المدني في توافق الاجتماع والسلوك المدني للناس

الاسلام المدني واقتصاد الناس: العمل والاستثمار والصدقة والزكاة

التصرفات غير المدنية هي أخطاء أُناس غير مدنيين انحرفوا عن الدين

أمثلة تاريخية موثقة لمدنية الاسلام والمسلمين

مقدمة

الإسلام المدني The Civic Islam هوالذي بدأ مع الصحابة والدولة الراشدة، ولم يتلوث عن قصد أو بسوء نيّة، او عن جهل عبر حوالي١٤٠٠ سنة مضت بأفكار وأطروحات المستشرقين الغربيين، أو المحليين المستغربين أو بفتاوى واجتهادات جاهلة حينًا أو شخصية فاسدة أحيانًا اخرى. فلم نبتكر مصطلح " الإسلام المدني" من العدم، بل استنبطناه من فطرة الاسلام الاولى التي أرسى الله قواعدها الاولى مع نهاية القرن السادس الميلادي، حين استكمل الاديان السماوية بدستور حياتي وسلوكي شامل يضم في ثناياه كافة التشريعات السماوية السابقة باسم الاسلام.

ويبدو ان عدداً من المسلمين المعاصرين:

- بعدم اتعاظهم للاسف من دروس حضاراتهم المدنية العالمية السابقة ايام الراشدين والامويين والعباسيين والاندلسيين،
- وبالاتكاء المُميت ادراكيا وسلوكيا على الماضي، وعدم عملهم شيئا لاحياء تراث وامجاد هذه الحضارات،
- وبالنكوص عن مواكبة حركة الحضارة العالمية المعاصرة وتحصيل تطوراتها التقنية المتتابعة في مجالات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات،

oberkanal.com

- وبما ارتكبته بعض المرجعيات والمجموعات عن جهل او سوء نية من اخطاء في الاجتهاد الديني التي افرزت احكاما تعسفية حينا او غير صالحة لمتطلبات وحياة العصر احيانا اخرى،
- وبما يلف سلوكهم مع انفسهم ومع الاخر في الداخل او/ والخارج من عنف وتخريب،
- وبما يلجأون اليه من ارهاب وتقتيل لحل مشاكلهم او للحصول على مطالبهم، دون الاجتماع مدنيًا مع الاخر واستثمار طرق النقاش والحوار والاقناع والتوصّل بالفهم والتفاهم والتفهم الى النتائج المطلوبة..
- وقد إفتقدوا القدرة على صناعة القرارات الاستراتيجية الوطنية، وحماية وتنمية هوياتهم الثقافية- الحضارية، وحرية خياراتهم للمستقبل على مستويات: الجماعات والمؤسسات المدنية ثم الدول/ الحكومات الوطنية.

والنتيجة المُفجعة تبدو في تَردّي أوضاعهم المحلية ثم مكانتهم لدى انفسهم وعالميًا لدى المجتمعات والامم الاخرى.. بل واكثر، في جرأة بعض الجهات الدولية على استلاب مُقدراتهم واسقاط دولهم الوطنية.

ولا سبيل للمسلمين من اجل البدء في التنمية البشرية والاجتماعية والعلمية والسياسية الشاملة، وفي استعادة دورهم الحضاري العالمي الذي استمر لحوالي الف سنة،، أي لنصف التاريخ الميلادي للبشرية الانسانية، سوى بالسلوك المدني النابع من الوسطية الصحيحة للاسلام والمواكب لحركة ومتطلبات العصر.

وبينما نسمع بعض الحديث هنا وهناك حول الإسلام السلمي (أي المدني) الخالي من أعمال العنف أو الإرهاب، إلا أنه يلاحظ الآنتفاعل حركة جادة في الغرب يقودها عدد من العلماء والأكاديميين والإصلاحيين الليبراليين بهدف تضييق الفجوة الثقافية والفلسفية والسلوكية بين الإسلام والديانات السماوية الأخرى في عصر العولمة[١]،، حتى يُخيَل لي أن نهضة إحياء الإسلام تبدو أنها قادمة من الغرب دون الشرق: "البيت الأول للإسلام"!

ويجري الحديث في الغرب حاليًا، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية عن فكرة او مفهوم الدين المدنيThe Civil Religion. فقد أخذ الباحثون والمفكرون الأمريكان مصطلح المدنية عن الامبراطور الروماني أوغسطين قبل ألفي سنة وبدأوا بتداوله على نطاق واسع، بقصد[٢]:

openkanal.com

- تحرير الحياة المدنية للناس من ضغوط واملاءات المؤسسات المذهبية المسيحية وغير المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية التي تثير فيهم رودود فعل سلبية، وعنفية في احيان عديدة أخرى.-

- التفسير العلمي للسلوك الإنساني وتوفير مفهوم ديني موحد لهذا السلوك يجمع الافراد والجماعات معًا،، دون المواجهات العنصرية المذهبية التي تشوش مسيرة الحياة المدنية اليومية.

والسلوك المدني الذي يوفق بين الاهتمامات الشخصية للأفراد والجماعات مع الصالح العام للمجتمع، يتعدى في واقع الأمر حدود الأشخاص المتدينين او غير المتدينين الضيقة، إلى العمل بقوانين وأعراف كونية عليا تجمع الناس على الدوام معًا في علاقات ايجابية سوية هي حرة وأبعد من الأفراد أنفسهم.. تمامًا كما تصوغ قوانين الهندسة المدنية نوع البناء أو السكن الذي يحتاجه الفرد في البيئة. فهذه القوانين ليست مرهونة آنيًا بالفرد نفسه، كما هي ليست عرضة للإلغاء منه[٣].. بل هي أزلية الوجود تجمع موضوعيًا بين حاجاته المعيشية والتواجد أو القبول العام من البيئة لانتاج سلوك مدني هو السكن المناسب للفرد والبيئة.

إن هذه النظرة الموضوعية للسلوك المدني، تؤكد أن القوانين والأعراف والنظم الثقافية التي تحكم السلوك المدني هي ليست بذاتها علمانية مؤقتة بل هي في النهاية دينية وازلية. ومن هنا، جرى الاصطلاح على مُجملها اسم الدين المدني. أي أن كل ما يعتقده ويتصرفه الإنسان بالفطرة الربانية التي خلقه الله بها، دون البيئة المُلوّثة، هي في حقيقة الأمر سلوكيات دينية مدنية. من هذا المنطلق، نؤكد على مدنية الأديان عمومًا والإسلام بوجه خاص، لكون ما خلقه الله في الإنسان ومن أجل الإنسان في هذا العالم هو بالفطرة مدني: قويم ومتكامل وسوي وناجع وهادف مفيد في الحاضر والمستقبل.

وهذا يعني أن الانسان في الاحوال العادية: الشخصية والاسرية والاجتماعية قادر ذاتيًا على توجيه واعادة تصويب نفسه دون حاجة الى وسطاء او أوصياء متدينين اتخذوا من الاسلام مهنة للعيش، يجتهدون فيخطئون كما يلاحظ أحيانًا أو غالبًا. ونرى هنا أن نشوء طبقة الكهنة ورجال الدين و"الشيوخ" عبر التاريخ بدءًا بالفراعنة والبابليين والهنود واليونانيين وانتهاء "بالعصر الجاهلي المعاصر"، وقيام هؤلاء بفرض أنفسهم وكلاء لله ووسطاء بينه والناس، وأوصياء على مصائرهم وحياتهم، هي كلها خروقات مُتعمّدة للفطرة المدنية القويمة التي خلق الله الناس والأشياء عليها منذ أزل التاريخ.

openkandil.com

حتى أن بعض هذه الجهات الرسمية والشعبية من اجل تحقيق أغراض نفعية خاصة: طبقية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو مَرَضيّة، أجازت لنفسها خلال السنوات القليلة الماضية إرتكاب تصرفات دموية غير مدنية بالعنف والإرهاب والتلاعب بمصائر وعمل الناس والمؤسسات.

إن الله خلق الأديان والإسلام مدنيةً بدون وسيط،، وأن تطبيق هذه المعتقدات الالهية من الناس قد يحتاج بعض المساعدة الفقهية بحكم نقص الظروف والاحوال الانسانية للافراد حينًا، لكنه لا يحتاج بالمطلق إلى فئات أو طبقات خاصة أو برامج فضائية تخديرية تَجْتَرّ معلومات معروفة منذ مئات القرون،، تفرض أجنداتها الشخصية على أمور وأحكام دينية هي في الأصل مدنية بالفطرة الربانية للإنسان والكون. إن عودة الناس الى ممارسة القوانين والنوايا أو الأهداف والمعارف والصيغ المدنية القويمة التي خلق الله الإنسان والكون والحياة بها، تشكل في رأينا جوهر الإسلام المدني Islam The Civic الذي ندعو إليه في هذا العمل العلمي.. دون " البروبوغاندا الدينية" المحمومة فضائيًا على أقل تقدير.

معطيات مبدئية لمدنية الاسلام والمسلمين

ان الإسلام منذ بدايته (وكما هو الحال مع الاديان التي لم تتعرض عبر مسيرتها الى عبث الانسان وطغيان مصالحه الآنية)، هو مدني يجمع بين العلم والأحكام الدينية، من خلال التفسير العلمي للظواهر والسلوك والأشياء في الحياة اليومية للإنسان. وهذا ليس جديداً على مدنية الإسلام من خمس نواحٍ:

١- أن الاسلام هو معتقد عالمي موجه لصلاح وخير كل الناس باختلاف الاعراق والثقافات والزمان والمكان. انه طرح ايديولوجي وفلسفي شمولي للكون والحياة والإنسان كما أورد أحد الكتّاب٤. لقد أكد الله عالمية الاسلام في عديد الآيات، نذكر منها:

* "الحمد لله رب العالمين" (الآية٢، الفاتحة١).
* "ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين"(الآية٩٦،آل عمران٣).
* "يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم"(الآية١٧٠،النساء٤).
* " قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" (الآية١٠٨، الحج٢٢).
* "وما أرسلناك الا رحمة للعالمين"(الآية١٠٧،الأنبياء٢١).
* "وانه لتنزيل رب العالمين" (الآية١٩٢، الشعراء٢٦).
* "إن هو الا ذكر للعالمين" (الآية٨٧، ص٣٨).

* "فقال اني رسول رب العالمين" (الآية٤٦، الزخرف٤٣).
* "وما هو الا ذكر للعالمين" (الآية٥٢، القلم٦٨).
* "يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم" (الآية١٣،الحجرات٤٩).

وقال الرسول محمد في عالمية الاسلام، الحديث: "لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى". والعجمي المقصود هنا هو أي مسلم من اصل غير عربي ومن ثقافة وطنية غير عربية.

٢- إن الإسلام بنصوص القرآن والسنة المتواترة لا ينافي العلم ، بل إن ما يتم من كشوف في مختلف مجالات الحياة سوى مؤشر على تطور العقل البشري القادر على ادراك ما هو موجود أزليًا، والذي تؤكده النصوص القرآنية في الاصل منذ مئات السنين قبل إزاحة الستار عنه من المفكرين والعلماء.

٣- إن الإسلام يجمع بطبيعته تعاليم اليهودية والمسيحية، بالإضافة لنصوص إضافية جديدة أوجبتها ضرورات حياة الناس بعد مضي مئات السنين على كل من اليهودية ثم المسيحية. فالإسلام يتمتع بالتسامح مع الآخر، والقبول به واستيعاب فكره وتراثه والعمل به، دون أي شعور بالعنصرية الدينية أو الهيمنة العقيدية "الشوفينية" باحتوائه المزدوج للديانتين السابقتين من جهة،، وكذلك دون الاحساس من جهة اخرى بالدونية والتبعية لهما باعتبار الإسلام في معظمه تجسيداً حرفيًا حينًا أو معنويًا حينًا آخر لتعاليمها. فالإسلام بهذا هو مدني بإمتياز قبل أي ادعاءات بهذه المدنية من جهات عالمية معاصرة في الشرق أو الغرب.

٤- أن الاسلام يعمل منذ بدايته بثقافة السلم والسلام والتسامح والعدل واحترام الحقوق المدنية للناس عموما وللأقليات بدون شك. فلا نوافق البعض من الشرق او الغرب هنا قولهم بأن الاسلام يعني الاستسلام والخنوع او العبودية. فالله الذي "خلق الانسان في احسن تقويم" وليكون "خليفته على الارض"، لا يحتاج الى استعباد هذا الانسان بالمعنى البشري الفظّ للكلمة. حتى أن الوالدين عندما يطلبان من الابناء التوافق مع رغباتهما وتعليماتهما، لا يتمنيا أبدًا ان يكون هؤلاء الابناء عبيداً لأي أحد حتى للوالدين نفسيهما.

فالاسلام اصطلاحًا مشتق من اسم مصدره سِلْم ومن فعل سَلِمَ (من العقوق والانحراف والخوف والتهديد والحرمان). أي أَمِن في النفس والحياة والمستقبل. أما اذا نظرنا الى اشتقاق الاسلام من سَلَمَ فيكون اسم مصدره: سلام. فالاسلام هو عامل سِلْم وأمان وسلام يُعلّم أتباعه اساليب العيش الآمن مع الآخرين وقيم التعامل

obeikandi.com

المتوازن معهم على "قدم المساواة" في الحقوق والواجبات،، وقبول هؤلاء الآخرين أعضاء شركاء في البيئة حتى لو كانوا من اعراق او/ واديان اخرى.

وهكذا تزوج رسول الاسلام، العربي من نساء غير عربيات (السيدة / ماريا القبطية التي انجبت للنبي ابنه: ابراهيم، وكانت امها رومية ووالدها قبطي نصراني[٥]). ، ونالوا أرفع المناصب وعملوا في وظائف الدولة الاسلامية بدءاً من الدولة الراشدة الاولى مروراً بالعباسيين والاندلسيين والفاطميين والموحدين والسلاجقة والبويهيين والى وقتنا الحاضر. وكانوا مستشارين لخلفاء وقيادات اسلامية حاكمة، ومترجمين خبراء في الآداب والعلوم المختلفة.

٥- أن المسلمين كانوا منذ بدايات اسلامهم في مكة والمدينة ثم بدول الراشدين والامويين والعباسيين والاندلسيين،، مدنيين من الطراز الاول. فقد استوعبوا الشعوب المختلفة عرقيًا وثقافيًا في الحياة اليومية وفي عمل وادارة المؤسسات، وأدخلوهم في الوظائف والاعمال والادارات السياسية لدرجة بعثت على التذمر في حينها من بعض المسلمين. فكان سلمان الفارسي صحابيًا ومستشاراً،، وكانت أعداد من الروم واليونان والفرس والأكراد والسلاجقة والبربر والاسبان خبراء ومستشارين ومترجمين وموظفين ورجالات دولة، ثم حكاماً فعليين في بعض مراحل الدولة الاسلامية كما كان الحال مع البويهيين والايوبيين والسلجوقيين والمماليك والموحدين وغيرهم من أعراق غير عربية.

مفهوم وممارسة الدين المدني - نظرة فلسفية وعملية تحليلية

الدين (ونعني به هنا الاسلام وان لم نذكره بالاسم) هو نظام رسمي مُقرَّر من الله كما في الأديان السماوية يتكون من معتقدات روحية ومبادئ وأحكام وممارسات وتعاليم وأخلاقيات ثم أساليب للتقوى السلوكية من أجل التوافق مع هذه المعتقدات. أي أن الدينموجه لترشيد وإنضباط حياة وسلوك الإنسان من أجل عيش كريم في الدنيا وقبول أبدي في الآخرة (حياة ما بعد الموت الدنيوي المحسوس).

والدين هو عامل أساس في حياة الإنسان القديم والمعاصر على حد سواء. وإذا نظرنا إلى الدين مصدراً للثقافة والحكم كما هو الأمر في البلدان النامية، فنرى بالنتيجة أثر الدين وتعاليمه وقيمه على خلق وميول وسلوك الناس في الأحوال العادية للحياة الاجتماعية.

وسواء كان الدين سماوياً كما هو الحال مع اليهودية والمسيحية والإسلام،، أو وضعياً من مصلحين كحال: الهندوسية والبوذية والكنفوشية والسيخية والزارودشتية والبهائية والتاوية Taoism والأنيمية Animism (معتقد الابروجيين سكان استراليا

الاصليين، والهنود الحمر والاسكيمو في الولايات المتحدة الامريكية)، فإنه (أي الدين) مَعنيٌّ في الدرجة الأولى بصلاحية علاقة الإنسان بالله من خلال صلاح الحياة الدنيا.. وإن لم يذكر البعض الله حرفيًا بالاسم أحيانًا. وبالطبع،، فإن معايير صلاح هذه الحياة الدنيا محكومة بمدى توافق الناس مع تعاليم وأحكام الدين الذي ينتمون إليه، وبالسلوكيات المدنية التي يؤدونها وفاء للتعاليم والأحكام المنصوصة.

ويوجد اتفاق عام في الشرق والغرب حتى في البيئات الغربية العلمانية مثل الولايات المتحدة والدول الأوروبية بخصوص أثر الدين في الشخصية والسلوك على المستويين الرسمي والشعبي.. كما يوجد أيضًا عدد كبير من الدراسات الإمبيريقية الميدانية التي تؤكد أهمية الدين في تطوير وانضباط السلوك الإنساني المدني، وفي توجيه الحياة اليومية للناس وتطوير شخصيات الشباب بوجه خاص[٦].. حيث (ان حجتنا بمدنية الاسلام والمسلمين بالدراسات الغربية هي اقوى كونها تمّت في بيئات علمانية لا يشكل الدين اولوية مباشرة لها، فكيف الامر بالدين الاسلامي وهو يجسد محور الثقافة ومعيارالتشريعات والدساتير المدنية المحلية):

١- أن الدين هو أب الاجتماع المدني البشري[٧] منذ خليقته الأولى. فهو الذي جمع الناس معا وعلّمهم قيم الزكاوات / الصدقات، والمسؤولية المدنية وخدمة المجتمع، والاعتناء بالآخرين، والأعمال الخيرية من أجل الصالح العام.

٢- أن السلوك المدني في المجتمع الديمقراطي يحتوي أبعادا دينية[٨] نغفلها أو نتجاهل وجودها غالبا. فبهذا الصدد، إن تحمل مسؤولية الفعل المدني في مواجهة النزاعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجماعات الدينية، والتخلي عن المصالح الشخصية لأجل الآخرين، والمشاركة بالوقت والفكر والمال من أجل الصالح العام، والمطالبة بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للجميع.. هي كلها سلوكيات مدنية ذات أبعاد دينية بدون شك.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال، خلال المراحل الأولى من تاريخها (١٦٠٧-١٧٨٣) كان الدين هو المقرر العام في تكوين بنود الدستور وبناء الشخصية الفردية المدنية. فقد كان مُقررًا لهوية الفرد المدنية ولتوازنه الشخصي، ولنظام الجماعة الاجتماعي التي يعيش عضوًا فيها[٩].

٣- أن المعتقدين في الدين هم كما تشير الدراسات، أكثر مدنية في سلوكياتهم في كافة التجارب العملية التي أجريت معهم من أولئك الذين لا يعتقدون بالدين أو ذوي ميول ضعيفة نحوه.

٤- أن الدين يشكل عاملاً هاماً في الحياة السياسية والاجتماعية[١٠]. فبدون الاعتقاد بالله لا يمكن لمبادئ الديمقراطية البقاء، كما أن الأعمال الخيرية والعلاقات الأسرية القوية ، واحترام ومساعدة الآخرين ، تعود في جذورها السلوكية إلى الدين والتعاليم الدينية في الأسرة وأماكن العبادة العامة. ويضيف الكاتب في النهاية أن الدين في الولايات المتحدة الأمريكية يمارس دورا جذريا في تشكيل الهوية الأمريكية.

٥- أن الأفراد الذين يواظبون على أماكن العبادة أسبوعيا هم أكثر تبرعا ماليًا ومشاركة في الأعمال الخيرية والاجتماعية العامةمن أولئك المنتظمين بدرجات متفرقة أو الذين لا ينتظمون أبدا في العبادة وارتياد الأماكن الدينية[١١].

٦- أن قيام الشبيبة بأعمال متفوقة تستحق الثناء، مثل: دعمهم للمؤسسات الخيرية والمساهمة في العمل التطوعي، واعادتهم للمفقودات من أموال ومجوهرات إلى أصحابها، ومشاركتهم في الفعاليات المدنية العامة للبيئة،، هي ليست مجرد تعبير عن طاعتهم للقانون، بل أكثر تنبع من قوة كامنة تعمل في نفوسهم هي الدين والقيم الدينية[١٢].

٧- أن التوافق الشخصي والسلوك المدني بأعمال الاندماج في الشأن العام، والمساهمة في الأعمال الخيرية، والثقة بالآخرين والتعامل المنفتح المتسامح معهم، وتعدد أنواع الصداقات الملاحظة لدى الأفراد تتدنى كلما اتجهنا نزولاً من الفئة المتدينة إلى الأخرى غير المتدينة.. حيث أشارت الدراسات بأن المنتمين للدين اعتقاداً وممارسة بصفة متواصلة كانوا قويمين أو سويين مدنيين أكثر واجتماعيين ودودين ولهم روابط صداقات متنوعة ويمتلكون أسراً مُتحابّة ومستقرة أكثر من ما سواهم من الفئات الاجتماعية الأخرى .

٨- أن الدين يعمل كمصفاة للمنبهات القادمة من البيئة[٣]. وقد وجدت الدراسات في هذا الإطار أن الناس المتدينين كانوا مُحصّنين أكثر ضد الانحرافات والقضايا الاجتماعية المتحررة مثل الجنس قبل الزواج نتيجة الالتزامات الثقافية – الخلقية التي يحملونها في شخصياتهم بالتربية الدينية.. كما أن الدين من خلال المعتقدين من الناس يمنع حينًا أو يحد لدرجة كبيرة أحيانًا أخرى، الانحرافات والتناقضات التي تحدث في المجتمع والحياة الاجتماعية.

٩- أن المعتقد الديني هو عامل مباشر في تحقيق الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية المشتركة البناءة للأفراد، وخاصة على مستوى العائلة وعلاقات الأعضاء بعضهم ببعض وسوية آليات وتعاملات الحياة اليومية[١٤].

openkanal.com

١٠- أن الأسرة المتدينة ميولاً وسلوكًا تمارس بالتربية والمعايشة اليومية، أثرًا واضحًا في حماية الأبناء المراهقين من مخاطر الانحراف بالادمان على الكحول والمخدرات ومن عصابات الأشقياء وممارسة الجنس قبل الزواج والخروج اجتماعيًا عن القانون.. كما يتمع هؤلاء الأبناء بصحة جسمية ونفسية انفعالية ولديهم علاقات ايجابية مستقرة مع الأسرة والآخرين ويمتلكون ميولاً بناءة ومفاهيم قوية للذات في التعامل مع أنفسهم والآخرين، أكثر من أقرانهم في أسر لا يشكل الدين أفضلية يومية لديها. ومن المشوق في هذه الدراسات أنها وجدت نتيجة استطلاعاتها الميدانية لقطاعات واسعة في المجتمع الأمريكي أن ٧٦% من الشبيبة يؤمنون بالله معأن ٨٧% عبروا عن شكوك ومواطن غموض لديهم حول الدين.

ويؤكد باحثون[١٥] دور الدين في توجيه وأداء الحياة الخاصة والعامة من حيث رعايته المسؤولية المدنية للناس في:

١- الميول والالتزامات القيمة والعلاقات التي تربط هذه العناصر معًا.

٢- المواطنة الديمقراطية ودور الدين في تشكيلها لدى الناس.

٣- التسامح السياسي.

٤- أعمال التطوع والمشاركة في المناسبات والأعمال العامة للمجتمعات المحلية.

٥- المشاركة المدنية في الحياة اليومية للناس.

وختمت دراسة أخرى[١٦] أن الذين يعتبرون الدين أولوية أساسية في حياتهم، هم بوجه عام:

١- أكثر مشاركة في الأعمال التطوعية .

٢- أكثر ثقة بالآخرين معهم في أماكن القيادة من غيرهم في أماكن أخرى، كالعمل مثلاً .

٣- أكثر مشاركة في المجتمعات والفعاليات المدنية.

٤-أكثر اهتمامًا ومشاركة في الانتخابات العامة.

٥- أكثر نشاطًا في الشؤون المحلية.

٦- أكثر تبرعًا بالدم.

٧- أكثر ثقة بالناس بمختلف مستوياتهم الاجتماعية.

٨- أكثر أصدقاء ومعارف مقبربين اجتماعيًا منهم.

لكن هذه المميزات الاجتماعية المدنية التي تمنحها الممارسة الدينية للناس تواجه أحيانًا تحديات تعتبر في مجتمعات علمانية مثل الولايات المتحدة سلبية في طبيعتها[١٧] مثل:

obeikandl.com

- عدم تسامح مع مطبوعات متحررة في اللغة والمحتوى.
- عدم تأييد منح الحقوق المتساوية بين الجنسين وبعض الفئات.
- معارضة الزواج من مذاهب أوأعراق أوجنسيات أخرى.
- أقل صداقة أوقبولاً للمنحرفين جنسيًا .
- أقل دعمًا لمجموعات الاصلاح الاجتماعي.
- أقل مشاركة في الاعتصامات والاحتجاجات والمظاهرات المعارضة العامة .

ويضيف باحثان[١٨] في هذا الاطار أنه بالرغم من التوجّه الواسع نحو العلمانية لدى المجتمع الأمريكي،، إلا أنه عندما يأتي الأمر لمناقشة قضايا اخلاقية قيمية عامة مثل :بحوث الخلايا الجذعية، وتعليم بعض العلوم، والموت الرحيم، وزواج الشواذ جنسيًا، وعقوبة الإعدام، وضبط السلاح في السوق الأمريكية، فإن الدين يقفز إلى واجهة القرار للتاثير على نوعية الأحكام التي تصدر بخصوص هذه القضايا.

ومهما يكن، فان تربية الناشئة بتعاليم دينية وسطية معتدلة من شأنها ان تساهم في إنتاج أجيال تعزز حقوق الإنسان والإجتماعات الديمقراطية للناس والتسامح مع الأخرين[١٩]. فقد وجدت دراسة[٢٠] أن الدين يمارس دورا هاما في حياة الشبيبة الامريكية في مجالات حياتهم الشخصية والأسرية والاجتماعية العامة، تبدو هذه بإيجاز كما يلي:

١- إن الشبيبة المتدربين دينيًا يتمتعون عموما بصحة جسمية وانفعالية عالية. إن دراسات عديدة بهذا الشأن أفادت بوجود علاقة إيجابية بين التربية الدينية وتقدير الذات والتكيف الاجتماعي المرتفع مع الآخرين والبيئة، ثم بعلاقة سلبية بين التدين والاكتئاب.. أي كلما ارتفع التدين انخفض مع ذلك الاكتئاب .

٢- إن الطلبة / التلاميذ الذين يدرسون في مدارس دينية حصلوا اكاديميًا على معدلات أعلى من أقرانهم الدارسين في المدارس الاسمية (الحكومية).

٣- إن البنات اللواتي يشاركن بالحضور في الاجتماعات الدينية الأسبوعية كنَ أكثر طلاقة لغوية لفظية بالمقارنة بغيرهن اللواتي لا يحضرن هذه الاجتماعات الدينية الأسبوعية، وكن أكثر طلاقة لغوية لفظية بالمقارنة بغيرهن اللواتي لا يحضرن هذه الاجتماعات.

٤- إن الشبيبة المتدينين ناجحون أكاديميًا أكثر من خلال العلاقة بين التدين والنجاح الدراسي .

٥- إن الشبيبة المندمجين دينيًا هم أعلى قبولاً ونجاحًا اجتماعيًا في الأسرة والمجتمع المحلي.

obeikandi.com

٦- إن الشبيبة الذين يرون الدين هامًا في حياتهم، هم أكثر مشاركة في الخدمات والفعاليات الاجتماعية من أقرانهم غير ذلك.

٧- إن الشبيبة المتدين هم أكثر بعدًا عن ارتكاب جرائم القتل، والانحراف السلوكي وعن التدخين وتناول الكحول والمخدرات.

٨- إن الشبيبة المتدينين هم أقل مصاحبة في الغالب للأقران الذين يتناولون الكحول أو المخدرات.

٩- إن الشبيبة المتدينين وخاصة الذين يرتادون أماكن العبادة إسبوعيًا هم أقل بثلاث مرات أي ب: ٣٠٠% مصاحبة للجنس الآخر من أقرانهم الذين يرتادون هذه الأماكن .

١٠- إن المحافظة على عذرية المرأة حسب التعاليم بهذا الشأن، قد أخرت ممارسة الشبيبة للجنس إلى الزواج .

١١- إن حضور الاجتماعات الدينية في أماكن العبادة قد حصن الشبيبة عمومًا من ممارسة الجنس قبل الزواج .

١٢- أن الأسر المتدينة تمتعت عمومًا باستقرار أسري أكبر وعلاقات أسرية حميمة أكثر، وكان أعضاؤها قريبين نفسيًا واجتماعيًا وعاطفيًا أكثر من الأسر الأخرى غير المتدينة .

ونؤكد هنا حقيقة علمية وموضوعية سلوكية دون أي دعاية دينية بعينها، على أن توافق الإنسان مع النصوص الدينية (ونعني بها هنا النصوص الاسلامية) وأداءه لما تشير إليه من سلوك وواجبات، وحصوله بالتالي على ما تمنحه من حقوق ومكافآت.. تعتني نفسيًابحاجة الفرد في تقديره لذاته وتعامله مع نفسه، وسلوكيًا اجتماعيًا كعضو في الأسرة وفي الاجتماعات المدنية الأخرى للناس: الرسمية والخاصة أوالمفتوحة على السواء.

ومن هنا، نقول: لوأن الفرد راعى بالعادة الشخصية التلقائية أحكام وتعاليم الدين وتَصرّف مدنيًا بما تشير إليه من حقوق وواجبات،، لأمكنه بالنتيجة تحقيق الأهداف التي يطمح إليها، وتجنبه بالتالي أي عقاب تفرزه المخالفة لهذه الأحكام والتعاليم. تؤيدنا في هذا العديد من البحوث والدراسات الشرقية والغربية بحد سواء[٢١].

ان أثر الدين في شخصيات الناشئة وسلوكها المدني هو تحصيل حاصل في واقع الأمر،، سواء قبلنا أم أبينا، أو تحدثنا عن دور الدين بصيغ حَرْفية مباشرة وبتعليمات إملائية واعظة، أم لم نذكر اسم الدين بينما نفكر ونشعر ونسلك في الحياة اليومية. كيف؟

أولاً: لأن الثقافة الوطنية(المحلية) التي يشكل الدين عموميات سلوكها وقيمها تصنع من خلال الأسرة والمدرسة والاجتماعات المدنية الأخرى المفتوحة

والمقصودة... مواصفات هويتنا الشخصية، أفراداً وجماعات وكيانات محلية ودولية،، بالتغاضي عن مدى كفاية وصحة وجودة هذه الصناعة الثقافية، بالمقارنة بمتطلبات العصر وحركة الحضارة العالمية والصراعات الدولية والحضارية الجارية.

وثانياً: لأن تفكيرنا وميولنا وسلوكنا في الحياة اليومية لسد حاجاتنا الملاحظة في البيئة الاجتماعية – الثقافية التي نعيشها(محلية أو خارجية أحياناً)،، تتم تلقائياً من خلال أطر دينية نعتقدها. ولما كانت هذه الحاجات موجهة للبقاء والتقدم في هذه البيئة الاجتماعية الثقافية ومتوافقة بالتالي مع متطلباتها الآنية والإستراتيجية، ولما كنا مواطنين أعضاء فاعلين ومقبولين في البيئة ومتوافقين مع أعرافها وقيمها، عندئذ، فإن كل ما نقوم به من تصرفات وما نتبناه من أهداف وأعمال وما نعيشه من حاضر ونطمح إليه من مستقبل،، تبدو متوافقة تلقائياً بالعادة والعُرف مع مبادئ المقبول وغير المقبول في المجتمع وثقافته المحلية باعتبار الدين مقرراً لعمومياتها السلوكية.

حتى في الغرب العلماني، فإن ما يقوم به الناس والمؤسسات من أعمال وتصرفات في الأحوال العادية للمجتمع هي متوافقة مع الأعراف والقوانين المعمول بها.. والتي هي بدورها مبنية عملياً ومنطقياً بالتوافق مع نصوص الديانة المسيحية السائدة[٢٢] بمذاهبها المتنوعة: الكاثوليكية أوالبروتوستنتية أوالانجيلية أوغيرها.. لكنهم يقومون بكل هذا وأكثر باستعمال العقل والتخطيط والهدوء.. بدون "البروبوغاندا" المحمومة في الهواء والتهليل بالدين أوالترهيب به كما هو معتاد للأسف في البلدان النامية.. التي تفكر لسوء الطالع بقلوبها، وتقول كثيراً بألسنتها بينما تعمل قليلاً أو لا تعمل في الغالب؟!

آليات عمل الاسلام المدني في توافق الاجتماع والسلوك المدني للناس

يمكن توضيح دور الدين في تنمية توافق الشخصية والسلوك المدني من خلال ثلاثة آليات سلوكية هي: التعليم، والمتابعة والتوجيه، ثم المحاسبة(التقييم).وفيما التوضيح:

١- تعليم توافق الشخصية والسلوك المدني بالتربية الدينية المدنية. يشكل هذا التعليم بواسطة الفرد والأسرة والمدرسة والإعلام والمواقف الاجتماعية الأخرى الرسمية والمفتوحة، أهم مسؤولية يقوم بها الدين بمعلوماته وتعاليمه وقيمه وسلوكياته في تعليم الناشئة والناس بواسطة التربية الوقائية،، البعيدة عن البروبوغاندا التجارية والدعائية او حلقات المواعظ الشوفينية الفضائية، او حلقات وأنشطة وبرامج التسييس الديني،، مواصفات وآليات لتوافق الشخصية والسلوك المدني..

إن كل ما يحتويه القرآن الكريم في واقع الأمر هو دستور إجرائي لسوية الطبيعة الإنسانية (بصيغة توافق الشخصية والسلوك المدني) وللحياة بمختلف أوجهها، دون الحاجة لهذا "السيل العرم" من البرامج والمواعظ الروتينية المتكررة. قال الله مؤكداً هذا الدور بآيات عديدة نذكر منها(أنظر: محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث ١٩٨٨):

- الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان (الآية٢، الرحمن ٥٥).
- علم الإنسان ما لم يعلم (الآية ٥ من سورة العلق ٩٦).
- علم بالقلم (الآية ٤ من سورة العلق ٩٦).
- وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة (الآية ٣١ من سورة البقرة ٢).
- رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث (الآية ١٠١ من سورة يوسف ١٢)
- وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم (الآية ٨٠ الأنبياء ٢١)
- وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء (الآية ٢٥١ البقرة ٢)
- يتلوعليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (الآية ١٥١ البقرة ٢).
- وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم (الآية ٩١ الأنعام ٦)
- فيتعلمون منهما ما يعرفون به بين المرء وزوجه ويتعلمون ما يغيرهم ولا ينفعهم (الآية ١٠٢ البقرة ٢).

ويجري التعليم والتعلم الديني بأربعة آليات: الفرد من خلال الملاحظات والقراءات الذاتية للقرآن والسنة، والأسرة، والمؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة ثم الاجتماعات المدنية المفتوحة في المجتمع مثل: الإعلام، والأقران والندوات والنوادي والروابط الاجتماعية والمهنية.

لكن ما يجري من تعلم وتعليم من هذه الجهات من أجل بناء شخصية سوية متوافقة مع نفسها والمجتمع ومع الله، وتتصرف بصيغ مدنية كما ينبغي في النصوص الدينية.. يبدوغير كاف ويثير ردود فعل سلبية في أحيان عديدة ملاحظة لدى الشبيبة ومجموعات معارضة أخرى،، وذلك بسبب ضعف المعرفة والمهارة المهنية في توصيل الرسائل الدينية المطلوبة، أو لإهمال هذه الأطراف ومشاغلها الجانبية عن أداء واجباتها المتوقعة منها في التربية الدينية،،

obeikandi.com

وفي أحيان أخرى بسبب تعارض رسائلها وأساليبها التربوية الدينية، بحيث تعلم الأسرة شيئًا، غير الذي تقوم بتعليمه المدرسة وخلاف ما يتعلمه الفرد في اجتماعات الأقران والمواقف الاجتماعية المفتوحة.. ثم تناقضها جميعًا أحيانًا مع ما يجري من معارف ومعلومات واتصالات وحملات للديمقراطية وحقوق الإنسان سيئة النية أحيانًا، بتسارع تطور مصادر ووسائل المعرفة والمعلومات والاتصالات الإلكترونية ومحطات البث التليفزيوني الفضائي.. الأمور التي أدت إلى فقدان الناشئة والشبيبة لتوازنها النفسي واختلاط معايير" الصح والخطأ " لديها.. مؤديًا كل ذلك في النهاية أيضًا الى ضعف الوازع الديني في تسيير وتوجيه فعاليات وتعاملات الحياة اليومية، بشكل اضطرابات نفسية وانحرافات سلوكية كنتيجة لما نسميه في هذا العمل العلمي: ضعف توافق الشخصية والسلوك غير المدني.

ولما كانت الأسر والمدارس والمؤسسات المدنية الأخرى لا تقوى على ضبط محتوى وعمليات ونتائج التربية الدينية لدى الناشئة والشبيبة، ولما كانت أيضًا لا تستطيع أن تكون رقيبة عليهم طيلة اربع وعشرين ساعة يوميًا في مختلف الزمان والمكان.. فإن أنجع الحلول تبدو في تعاون ومتابعة الأسرة والمدرسة خلال الثماني عشرة سنة الأولى من عمر الناشئة من أجل تنمية شخصية مستقلة مستنيرة، قادرة بذاتها على التفكير المنطقي وتصويب صناعة القرار واختيار الأقوم والأكثر فعالية من بين البدائل المتاحة، لمتطلبات المواقف المدنية اليومية والمتوافقة في نفس الوقت مع النصوص الدينية بشأن كل منها. وعندما يمارس الشبيبة شخصياتهم السوية المتوافقة ويعتادون على اتخاذ القرارات الصائبة ويتحملون مسؤوليات نتائجها.. عندئذ يتصرفون إسلاميًا مدنيًا بالفطرة كما هو مرغوب.

٢- متابعة وتوجيه توافق الشخصية والسلوك المدني. يوفر الدين للناس عند قراراتهم وأعمالهم آليات ومبادئ المتابعة والتوجيه الذاتي من خلال تزويدهم بتعليمات وإرشادات وتصويبات "الصح والخطأ"، وكفاية أو ضعف الإنجاز الشخصي / السلوكي لمزيد من الانضباط وجودة أداء المهمة المطلوبة. يحث الله الافراد والجماعات في عديد من الآيات على مراقبة أدائهم وتوجيهاتكم السلوكية، نذكر منها العينة التالية:

- اعلموا أنها الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة (الآية ٢٠ الحديد ٥٧)
- واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (الآية ٢٨٢ البقرة ٢)
- إن ربك هوأعلم من يضل عن سبيله (الآية ١١٧ الأنعام ٦)
- وهو أعلم بالمهتدين (الآية ١٢٥ النحل ١٦)
- ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم (الآية ١٥٨ البقرة ٢)

- وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (الآية ٢١٥ البقرة ٢)
- واتقوا الله واعلموا إن الله بكل شيء عليم (الآية ٢٣١ البقرة ٢)
- ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (الآية ٢٥ ابراهيم ١٤)
- الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (الآية ٤٣ العنكبوت ٢٩)
- وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الآية ٢١ الحشر ٥٩)
- ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب (الآية ٣ الطلاق ٦٥)
- واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً (الآية ٨ المزمل ٧٣)
- خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (الآية ١٧١ الأعراف ٧).
- إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى (الآية ٢٨٢ البقرة ٢)
- فذكر إن نفعت الذكرى (الآية ٩ الأعلى ٨٧)
- ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (الآية ٥١ القصص ٢٨)
- سيذكر من يخشى (الآية ١٠ الأعلى ٨٧)
- إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار (الآية ١٤٥ النساء ٤)
- وإما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى (الآية ٤٠، ٤١ النازعات ٧٩)
- إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الآية ١٣ الحجرات ٤٩)
- يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم (الآية ٨٨ و٨٩ الشعراء ٢٦)

إن الآيات أعلاه وغيرها في القرآن، تحض على العمل والمتابعة والتوجيه والتصحيح الذاتي لشخصية وسلوك الإنسان. وإن الأسرة والفقهاء والمؤسسات ترتكب خطأ فادحاً عندما تحصر تفسير القرآن وآياته على الأمور الدينية المباشرة(الحرفية) البحتة.. وتهمل أو تبدو قاصرة عن تعميم وإسقاط ما تعنيه الآيات على شؤون الإنسان ومواقف الحياة المختلفة..

إن القرآن قد نزل قبل كل اعتبار آخر، لبناء وتصحيح وترميم شخصيات وسلوكيات الناس وآليات تعاملهم مع بعضهم ومع شؤون الحياة الأخرى بدءاً بالسياسة والحكم والاقتصاد والتربية وانتهاء بالصحة والدفاع والإدارة والعلاقات الدولية.

فالآية: "اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة"، هي توجيه وتحذير بأن التفكير والميول والتصرفات السوية الجادة هي البناءة للإنسان والحياة والسلوك ورضاء الله في الدنيا الآخرة، دون إن نحدها في الدعوة المطلقة للعزوف عن الدنيا والانزواء في صومعة معزولة عن حركة وتطورات وإبداعات الحياة. أي أنها تؤكد أهمية التفكير

obeikandl.com

والشعور والسلوك الجاد لتقدم الإنسان والحياة، أكثر من قضاء كل الوقت في اللهو واللعب والترفيه.. وهذا يجسد في واقع الأمر جوهر توافق الشخصية والسلوك المدني اللذين ندعو إليهما باستمرار.

ولوأخذنا الآية الأخيرة: "يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم" .

إن ما يفهم من الآية الكريمة الآن هو: إن الذي يقابل الله بسيرة شخصية وسلوكية قويمة، بعيدة عن الأخطاء والانحراف، بشخصية راضية عن نفسها واجتماعها المدني بالناس في قضاء متطلبات الحياة المختلفة، فإن ثوابه يكون مجزيًا في الآخرة.. كما كان كذلك في الدنيا.. أي بلغة عملنا العلمي الحالي: إن من تمتع بتوافق شخصي عال مع تعاليم الله وبسلوك مدني في الاجتماع مع الناس، فإنه يكون مرضيًا من الله في الآخرة كما كان ناجحًا متفوقًا في حياته الدنيوية.

٢- المحاسبة عن العمل والنتائج. لا يترك الله الناس يعملون على غاربهم، أي هواهم واهوائهم الظرفية، بل يحاسب الخير بعشر امثاله ام السيئة فبمثلها. قال تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر امثالها" (الآية١٦٠ الانعام٦). واضاف "من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها" (الآية ٤٠ غافر ٤٠).

وتكون المحاسبة خلال التربية المدنية الدينية في نوعين: الاولى بنائية مرحلية أثناء عملية المتابعة والتوجيه من اجل التحسين والتطوير للأفضل؛ والثانية في نهاية التعلم والتعليم بغرض المكافأة والعقاب عن نوعية النتائج/ بمدى خيرها او شرها على الفرد والاسرة والعمل والحياة،، وفي النهائية بمدى توافقها مع الله.

ونرى في ختام هذه الفقرة، إن الأسر والناشئة والاجتماعات المدنية للناس هم بحاجة ماسة لتفسير معاصر للقرآن الكريم في العلوم والمجالات الحياتية الجارية الآن في عصر العولمة وحقوق الإنسان ومجتمع المعرفة الرقمية في السياسة والاقتصاد والإدارة والصحة والثقافة والدفاع والتربية وعلم النفس والشخصية الإنسانية والإبداع العلمي، وغيرها من تحولات اجتماعية ودولية وعلمية معاصرة..

ونريد بدرجة مُلحة تفسيراً يعلّم الشبيبة مبادئ وسلوكيات العقيدة بمعارف وأنشطة موضوعية وجادة يحتاجونها لنمو شخصياتهم السوية المتوافقة في الواقع ولتفعيل قدراتهم على أداء السلوك المدني.. لكن بدون المواعظ المتكررة المملة والإملاءات القسرية، أو تذكيرهم كل ثانية بأننا نعمل ما نعمل حتى يكونوا مسلمين أوأتقياء ورعين؟! بل يتوقع مما نقدمه لهم من معارف وخبرات عصرية وقويمة مناسبة، أن ينتقلوا شخصيًا إلى التوافق النفس اجتماعي المطلوب، وسلوكيًا إلى

التصرفات المدنية الفعالة في اجتماعهم اليومي مع الناس وفي تناغمهم مع نصوص الله.

الاسلام المدني واقتصاد الناس: العمل والاستثمار والصدقة والزكاة

لو أخذنا الإسلام كآخر الأديان السماوية لتوضيح هذا الجانب من حياة الناس المدنية، لوجدنا أن الإسلام لا يشجع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ولا تحكم الثروات ورأس المال في الشأن الحياتي اليومي للناس.. كما لا يسمح باستبداد طبقة بمقدرات الأفراد والجماعات كحال طبقة رجال الأعمال في الرأسمالية أو طبقة العمال في الاشتراكية أو الشيوعية الدولية الماضية، بل نراه يقف وسطاً بين الرأسمالية والاشتراكية حيث يسمح للناس بدون استثناء بالعمل والاستثمار والثراء إلى أقصاه طالما كان ذلك قانونياً ويتبع النظم والقوانين العامة ويتجنب الجشع والأنانية والاستغلال وحرمان الآخر، كما يوفر للطبقات العاملة والفقيرة فرص العيش بكرامة، مستفيداً مما يفرضه الدين على الأغنياء من صدقات وزكاوات وما يَعفيه عنهم من التزامات مالية[٢٣].

كما أن الإسلام يتبنى منهجاً وسطاً: معتدلاً وفعالاً متوازناً بين واجبات وحقوق الفرد والأخرى للمجتمع، وعلاقة المواطن بالدولة من حيث رعايتها له مقابل وفائه لمتطلباتها المدنية المعقولة، وبين المادية والروحانية من حيث العيش والاستمتاع بالحياة الدنيا في ضوء معايير الحلال والحرام والعيش بسلام وسعادة في الحياة الآخرة.

وإذا نظرنا إلى الزكاوات والصدقات. ففي الزكاة يدفع القادرون مبلغ ٢,٥ % سنوياً من فائض حاجاتهم لمؤسسة الزكاة.. كما يمكن لأي فرد في المجتمع: قادر أوغير قادر إن يتبرع أو يتصدق بأي مبلغ يرغبه لصالح المحتاجين مباشرة أو بمؤسسة عامة أو خارجية موجودة لهذا الغرض. والغاية الكبرى من الزكاوات والصدقات هي تجذير اللحمة في علاقات الناس، لأن الإسلام يراهم في المجتمع "كأعضاء الجسم الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".

والزكاوات والصدقات بتضميناتها الفاضلة: الإنسانية والاجتماعية السياسية، تحرر المجتمع من صراع الطبقات، ومن المشاعر الضيقة للغيرة والحسد وعدم الثقة، واللجوء إلى الفساد أو الانحراف بالرشوة أو السرقة أو الاهمال السلبي المقصود من أفراد وطبقات دنيا بشؤون الآخرين أعلى أو أغنى.

وكمثال لما يتمتع به الإسلام من سماحة وعناية بالآخر نقدم بصيغة عامة التحادث النبوي مع الصحابة بخصوص بدائل الصدقات، قال "الصدقة فريضة على كل مسلم "،

فسأله الصحابة: ما العمل إذا كان الفرد لا يملك شيئًا؟ قال الرسول " يعمل بيديه فيكسب فيعطي مما كسب يداه صدقة للناس"، فسأل الصحابة: " وماذا لو كان الشخص لا يستطيع العمل؟ قال الرسول: "يجب عليه مساعدة الفقراء والمحتاجين بشيء لا يقتضي استعمال الجسم / اليدين.. كرأي أو تعليم معرفة أو مهارة أو مراقبة إدارية أوما شابه". فسأل الصحابة: " ماذا لو كان لا يستطيع حتى عمل مثل هذا؟ قال الرسول: " يجب عليه حث الآخرين لعمل ما هو جيد ". فسأل الصحابة: " وما العمل إذا افتقد هذه القدرة؟، فقال الرسول: " يجب عليه أن يجنب نفسه من الخطأ، فإن ذلك صدقة". وقال الرسول في حديث آخر " تبسمك في وجه أخيك صدقة ".. أي أن ملاقاة أخيك بوجه مبتسم هو صدقة.

إن التدقيق في معاني وتطبيقات حديث الحوار الشامل أعلاه، يؤكد على أن الدين الإسلامي يجسد دستورًا عالميًا في الاقتصاد السياسي والاجتماعي المدني، ومعيارًا موضوعيًا فاعلاً في المحاسبة على مدى توافق الشخصية والسلوك المدني واستحقاقاتهما من ثواب وعقاب في مناحي الحياة اليومية،، بما فيها التعامل مع العوامل المعاصرة التي تؤثر على الشخصية الفردية والسلوك المدني هذه الأيام مثل: العولمة والقانون الدولي وحقوق المواطنة وحاجات الإنسان وتكنولوجيا الإتصال والمعلومات المعاصرة.

التصرفات غير المدنية هي أخطاء أُناس غير مدنيين انحرفوا عن الدين

إن الأمر الغريب الذي لا يُستطاع إدراكه حتى اللحظة هو: كيف استوعب الإسلام تعاليم اليهودية والمسيحية ثم عمل المسلمون بهذه التعاليم دون "حزازية" أو ندم أو نقد طيلة ألف وخمسماية سنة تقريبًا، بينما لا يقبلوا بعضهم كمذاهب فرعية ضمن الإسلام المدني نفسه! أي كيف نفهم مع كون الإسلام وتشريعه من الله مدنيًا، وولادته في جزيرة العرب بهوية دينية مدنية: متسامحة ومتكاملة وشاملة وعلمية ومنفتحة على الأمم والحضارات السابقة واللاحقة، تَشتّت أتباعه إلى فئات منقسمة حينًا ومتصارعة غير مدنية أحيانًا أخرى، تلجأ إلى إقصاء الآخر ولو بالقتل أوالتهجير أوالسجن والتعذيب؟!

إن اضطراب الخطاب الديني نتيجة الجهل الواثق وازدواجية القيم ، والمصالح الضيقة لعدد من المشتغلين في المؤسسة الدينية كموظفين دون كونهم فقهاء وواعظين تقتضيهم حاجات الناس؛ وانحراف الخطاب السياسي بالكذب والخداع والفساد والبروبوغاندا، ثم ضعف وروتين التربية المدرسية.. قد جعلت كلها من الانسان قنابل موقوتة بدأت تنفجر في أي مكان وبدون تمييز او رحمة. وما الحروب والفتن

المحلية واعمال الغزو والسلب والنهب الجارية حالياً على المستويات الرسمية والشعبية من قوى موتورة في الداخل ومن الخارج،، سوى مؤشرات صارخة وهدامة في العديد من البلدان النامية عبر العالم، وفي شرقنا الاوسط بوجه خاص.

ونرى بأن أعمال التطرف والفوضى والارهاب التي تقوم بها بعض الجماعات المحلية مهما كانت توجهاتها الظاهرية الذاتية أو المدبرة من الخارج: دينية او سياسية او اقتصادية او عرقية، تعود الى:

١- حرمانها من بعض او معظم الحقوق والحريات التي منحها الله لهم بالفطرة، ويُعطيها لهم الدستور المدني بحكم المواطنة او الاقامة النظامية. والحل؟ هو بدهي وتلقائي: منحهم دون إبطاء ومناورة هذه الحقوق والحريات المبررة حتى لا يصل الجميع: الدولة الوطنية والمجتمع والجهات المُطالبة، الى طريق مسدود من الفتن والعنف والارهاب السري يفقدون معها كل شيء حتى اقتصادهم واستقراهم الاجتماعي، وربما هويتهم الثقافية واستقلالهم الوطني كما يلاحظ الآن في عدد من البلدان النامية.

٢- اعتقاد بعض الجماعات بفكر او اهداف غير منطقية او واقعية، او متطرفة غير سوية. وهنا يجب التصحيح سلمياً وعلنياً بالمناقشة والحوار والاقناع للوصول من اجل الصالح العام للمجتمع، الى تسوية مقبولة من كافة الاطراف. ويجب ان يلاحظ هنا للتسوية التصويب، الاعتبارات التالية:

* تصحيح الجهات الرسمية لأخطائها او مواطن قصورها دون تردد او شعور بالضعف امام الناس.. وهنا، يكون "الاعتراف بالخطأ فضيلة" وميزة ديموقراطية للدولة الوطنية، يمنحها شرعية دستورية اضافية مع قوة سلطاتها الرسمية.

* قبول الجماعات المعنية عند عدم التوصل الى تسوية ترضاها مرحلياً،، بمبدأ المعارضة السلمية، وبالعمل والحوار المعلن السلمي، واستمرار التواصل مع الجهات الرسمية من اجل "فهم وتفاهم وتفهّم" أكثر يجمع يوماً كافة الاطراف بقواسم مشتركة تساهم في استمرار تقدم المجتمع واستقرار الحياة الاجتماعية. وهنا تجب ملاحظة ابتعاد الجهات الرسمية عن مكائد الاعتقال التعسفي والتصفيات الجسدية، وكذلك التزام الجهات المعارضة بالتخلي عن العمل السري والاغتيال والمقاومة غير السلمية.

* عند قيام الجهات الرسمية بتصحيح أخطائها او مواطن قصورها، وعند عدم قبول الجماعات المعارضة بتسوية مرحلية وبمبدأ الحوار والمعارضة المعلنة السلمية،، عندئذ

فقط يمكن للدولة الوطنية تعريض بعض القيادات المتزمتة لمحاكمات مدنية مستقلة ومعلنة فضائياً لوضع الامور في نصابها لصالح المجتمع والاستقرار الاجتماعي.

ويجدر التنويه هنا الى ان ما تقوم به بعض الدول الوطنية في البلدان النامية من اعتقالات تعسفية ومحاكمات صورية وتعذيب لجهات المعارضة، مع عدم التصويب اولاً لأخطائها او مواطن قصورها،، لا يقع ابداً ضمن الاعتبارات الثلاث أعلاه.

ومهما يكن فالسؤال الذي نراه هاماً لصالح سلوك الاسلام المدني هو: لماذا لا يبحث المسلمون من جديد عن القواسم المشتركة العديدة التي تجمعهم بالإسلام معاً؟ لتكون هذه عموميات دينية يمارسونها جميعاً دون خلاف يذكر.. ثم يتفقون بعدئذ على مجموعة من الخصوصيات المحدودة لدى كل مذهب او مجموعة ضمن الإسلام المدني الواحد، يمارسها أتباع المذهب، تماماً كما هو الأمر مع بُنية وعمل الثقافة بعمومياتها وخصوصياتها المعروفة.

فهناك عموميات سلوكية متفق عليها باجماع ملفوظ من معظم الناس في المجتمع، وتجسد جوهر التشريعات والقوانين المحلية.. كما إن هناك خصوصيات مسموحة ومعلنة لهم كفئات أو طبقات ذات طبيعة أو مسؤولية محددة اجتماعية أو مهنية أواقتصادية أوسياسية أوصحية أوعسكرية أوغيرها.. يمارسها أيضاً أعضاء الطبقة أوالفئة الاجتماعية بصيغ مدنية خاصة.. مقبولة من الناس ومن القانون العام للمجتمع في آن،، فيما تكوّن هذه الخصوصيات مع العموميات السابقة في النهاية ما يمكن تسميته "بالثقافة المدنية" The civic culture .

وبينما حقق المسلمون مكانة عالية عن طريق التجارة والاسفار كما حدث في ماليزيا واندونيسيا وعدد من أقطار شرق وجنوب شرق آسيا وافريقيا ، فقد فتحوا عدداً من البلدان بالدعوة وبثقافة السلام والحوار والاقناع كما توضح فقرة تالية: **أمثلة تاريخية موثقة لمدنية الاسلام،** بالرغم من الوجود العسكري الشكلي للجيوش الاسلامية بهدف التعزيز السلمي،، دون التخريب والتعنيف والعنف والدموية وأعمال السلب والنهب التي تَنفرد بها للأسف الجيوش والحملات العسكرية الشرقية والغربية على حدّ سواء منذ تاريخ البشرية المبكر وحتى الآن.

ففي الشرق غزا التتار المغول الشرق الاوسط العربي وقتلوا اعداداً لا تحصى ودمّروا الحجر والشجر ودور العلم وحرقوا المكتبات؛ كما استولى اليابانيون في الحرب العالمية الثانية على الصين واقطار الشرق الآسيوي وقتلوا ودمروا لدرجة لا تزال معها لعنة تلك المرحلة تلاحق الدولة اليابانية من البلدان المعنية حتى هذا التاريخ.

Obeikandl.com

أما الجيوش والحملات العسكرية و"المخابراتية"الغربية، فقد إستهلها الاوروبيون بغزواتهم الصليبية المعروفة لبلاد الشام ومصر والتي دامت قرابة مائتين سنة (١٠٩٦-١٢٩١)،، تلاهم الأمريكان الاوائل، المهاجرين في الاصل من بلادهم الاوروبية هرباً من الاضطهاد والظلم وطغيان الأسر الاقطاعية الحاكمة، ليشنوا طيلة ماية وخمسين سنة على الاقل حروب ابادة بشعة ضد الهنود الحمر- سكان امريكا الاصليين.

ولم يوفر الاوروبيون منذ خروجهم من العصر الوسيط الاقطاعي وبدئهم رحلات الاكتشافات الجغرافية وبالحاح من طموحاتهم الاستعمارية وحملاتهم العسكرية: البريطانية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والايطلية والهولندية والبلجيكية، أي فرصة لإستلاب استقلال وثروات سكان ودول شرق وجنوب شرق آسيا، واستراليا ونيوزلندا ، وسكان واقطار الشرق الاوسط العربي، والبلدان الافريقية، وامريكا اللاتينية.

أما الامريكان الجدد مع الخمسينات من القرن العشرين الماضي وحتى الآن، فلم يدخروا أي جهد عسكري وخطط مخابراتية غير مبررة حيناً وغير خلقية احياناً عديدة أخرى من اجل مصادرة قرار ومُقدّرات العديد من أقطار العالم بدءاً من اليابان والفلبين والصين الوطنية وفيتنام شرقاً، مروراً بأفغانستان وباكستان وايران وتركيا والشرق الأوسط العربي والبلدان الافريقية، الى بنما ونيغاراغوا وكوبا والهندوراس والارجنتين وغيرها من دول الجوار اللاتيني الجنوبي!

ان امثلة دول الشرق والغرب غير المدنية الطاغية اعلاه، تبدو وكأنها لم تتعلم شيئاً يذكر من ثقافة العفو والتسامح والسلام التي جاء بها وعلمها المسيح طيلة قرون.. فيلاحظ إصرارها على ممارسة مبدأ: "اذا صفعت الآخر على خده الأيمن، أُطلب منه مباشرة إدارة الأيسر لصفعه"! العكس تماماً لواحد من اهم تعاليم المسيحية المدنية: " اذا صفعك احد على خدك الأيمن، أدر له خدك الأيسر" (العهد الجديد)؟!

وقد ادرك المسيح عليه السلام هذا العقوق البشري منذ قرابة ألفي سنة، مخاطباً جمعاً من الناس آنذاك قائلاً: " يا مُرأُون حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلاً. يقترب الي هذا الشعب بفمه ويكرمني بلسانه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يَعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (العهد الجديد ، الاصحاح ١٥ النص ٨ و ٩).

أما الاسرائليون، أتباع الديانة اليهودية و"شعب الله المختار" ،، فمع احترامنا لليهودية ديناً سماوياً ولليهود الحقيقيين المتدينين لله وللصالح العام للناس- كل الناس باختلاف اعرقهم،، فقد قررت فئات منهم منذ بداياتهم التاريخية الاولى ان يكونوا "غير مختارين" ليتناقضوا كاملاً مع ما أراد لهم الله، وغير مدنيين بخلاف ما تقتضيه منهم التوراة السماوية!! فقد تصارعوا فيما بينهم وإقتتلت دويلات مدنهم احدها ضد الأخرى

الى حدّ ابادتها؛ وقاوموا دعوة المسيح وعذبوه حتى صرعوه؛ وسخّروا المال والرذيلة[٢٤] للتحكم بقرارات الافراد والمؤسسات والدول؛ ونصبوا الخطط والمكائد للسيطرة على العالم فكانوا ماركسيين ورأسماليين في آن؛

وتلاعبوا في أسواق البورصة/ المال لتخريب اقتصاديات الدول كما كان مع الازمة الماليزية وروسيا وبعض دول شرق آسيا؛ وشكلوا مجموعات ضغط سياسي طاغية عبر المنظمات والمؤسسات المحلية والدولية للإستبداد بصناعة القرار لصالحها، وإن يكن "صالحها" هذا غير قويم في كثير من الاحوال؛ ومارسوا أبشع صنوف الاعتداء والتعذيب والتقتيل وسلب الارض والكرامة الانسانية مع الفلسطينيين واللبنانيين حتى هذه اللحظة.. وكأنهم في كل هذه الاعمال لم يتعظوا من مسيرة العذاب والاضطهاد والظلم والسبي التي تعرضوا لها عبر تاريخهم التوراتي القديم، وما تلاه بعد الميلاد من تدمير نهائي لوجودهم في فلسطين على يد الرومان عام ٧٠ ميلادية، ومعاناة نفسية وجسدية نتيجة كراهية وتقتيل عرقي ومذهبي غير مسبوق على يد الاسبان عند سقوط الدولة العربية في الاندلس ثم المانية النازية خلال النصف الاول من القرن العشرين،، ولا أيضًا من رُقيّ التعامل المدني للمسلمين ودولهم المدنية في الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر والاندلس والمغرب العربي.

ان الاديان السماوية عمومًا والاسلام بوجه خاص هي دساتير مدنية علّمت الناس كل حقائق واساليب السلوك المدني،، ولكن لسوء الطالع البشري يلاحظ نقص تعلم البعض وعقوق البعض الآخر بالخروج جهلاً او قصدًا عن التعاليم التي انزلها الله لصالحهم.. فنرى بالنتيجة السلوك غير المدني بالعنف والظلم طاغيًا في كل مكان شرقًا وغربًا على السواء. ولا سبيل للتصويب سوى بالعودة الحميدة لأصول الدين المدني الذي ندعو اليه في هذا العمل العلمي.

أمثلة تاريخية موثقة لمدنية الاسلام والمسلمين

لقد حقق المسلمون الأوائل خلال السنوات الوجيزة من عمر الدولة الراشدة تفوقًا مميزًا في فتوح البلدان ونشر الدعوة لدى الأمم المتنوعة الجديدة ،، ليس بحدّ السيف كما يجادل البعض سيئوا النية، بل بمبادىء وقيم وأخلاقيات مدنية عالية إستنبتها الاسلام في شخصياتهم وسلوكياتهم اليومية، وعاملوا الناس على أساسها. لقد أورد أحد الكُتاب هذه الأخلاقيات بالنقاط الموجزة التالية[٢٥]:

"١- احترام حرية الآخرين في القول، والتعبد، و العمل،أيًا كان دينهم ومعتقدهم، شرط عدم المساس بالخير والمصلحة العامين.

٢- مساواة الناس جميعًا بالحقوق والواجبات امام القانون والعدل الاسلاميين.

٣- منع الاضطهاد، و التنكيل، و الإرهاب، بكافة اشكالها بحق اي مواطن، بغض النظر عن انتمائه الديني.

٤- البعد عن تطبيق سياسة الغالب و المغلوب بين المواطنين، في كافة الوجوه و المجالات.

٥- تمكين العديد من اهل الكتاب، من العمل في وظائف الدولة الإسلامية، وفي مرا كز حساسة كل حسب كفاءته واختصاصه.

٦- اتباع سياسة إلاعمار والاصلاح- لا النهب والسرقة- للبلاد التي فتحوها، مما مكنها من ان تنعم بالازدهار و العمران، للذين لم تعهدهما من قبل".

وتأكيداً للأخلاقيات المدنية اعلاه للاسلام والمسلمين، نورد الأمثلة التاريخية الموثقة التالية:

الاسلام وثقافة التسامح والسلام واحترام الحقوق المدنية للأقليات

وثيقة يثرب[٢٦]

"لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم. وإن يهود بني عوف، وبني النجار، وبني الحارث، وبني جشم وبني ثعلبة، وبني الأوس وغيرهم ممن يقيم في يثرب أمة واحدة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن بينهم النصر على دهم يثرب. وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وإن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم وكذلك المؤمنون. وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أوابتغى وسيعة ظلم أو إثم أوعدوان أو فساد بين المؤمنين، عن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم".

وختمت الوثيقة بما يلي:

" وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أواشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله تعالى وإلى محمد رسول الله".

openkanal.com

العهدة العُمرية[٢٧]

"هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولاتهدم، ولاينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صُلْبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهوآمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهوآمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم".(شهد على ذلك الصحابة م:خالد بن الوليد، عمر بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبى سفيان).

الاسلام والاخاء العالمي للانسان

لقد سبق الاسلام والمسلمون تاريخياً الدساتير الاوروبية الفرنسية والانجليزية والامريكية المعاصرة بمئات السنين،، وكذلك الدستور العالمي المعروف لحقوق الانسان عام ١٩٤٦، بأكثر من الف وخمسماية سنة. اما نوعياً بِلُحمة الانسان بأخيه الانسان والتكافل معه في مختلف ظروف وحاجات الحياة، فلم ترقى أبداً كافة القوانين الدولية لحقوق الانسان قديمها وحديثها في اللفظ والجوهر الى ما مارسه الرسول محمد عام ٦٢٢ ميلادية في الاخاء بين المهاجرين من مكة والانصار أهل يثرب (المدينة المنورة). وفيما يلي نص توضيحي لذلك.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[٢٨]

"إن رباط الأخوة في الإسلام رباط عظيم ولذلك حرص النبي صلى الله عليه و سلم عليه وأكده، وكان من أوائل الأمور التي قام بها بعد وصوله المدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار. ويبدو أن النبي صلى الله عليه و سلم استمر يؤاخى بين أصحابه مؤاخاة ومواساة وتعاونًا وتناصحًا دون أن يترتب على ذلك حق التوارث بين المتآخين.

obeikandl.com

إن المؤاخاة التي شُرّعت بين المؤمنين باقية لم تنسخ سوى ما يترتب عليها من توارث فإنه منسوخ. وبوسع المؤمنين فى كل عصر أن يتآخوا بينهم على المواساة والاتفاق والنصيحة ويترتب على مؤاخاتهم حقوق أخص من المؤاخاة العامة بين المؤمنين".

الاسلام وثقافة السلم والتعايش السلمي وإيثار الآخر

نُقدم في هذا الاطار وثيقتين هما: صلح الحديبية وصلح الرملة،، تشهدان تاريخياً على الدرجة المميزة لمدنية الاسلام والمسلمين وممارستهم بالفطرة لثقافة السلم والسلام والبعد عن الحرب بأقصى ما تسمح به ظروف الانسان والزمان والمكان.. كما يُبيّنان كم كانوا وما يزالوا يؤثرين الغير على انفسهم ومصالحهم،، لدرجة تثير احياناً لدى البعض ظنون الشك بالتساهل في مصالح المسلمين، كما كان الامر مع صلح الحديبية، او هدر حقوقهم والتآمر عليهم كحال صلح الرملة.

فقد أورد احد المصادر اتهامات خطيرة لصلاح الدين الايوبي- القائد التاريخي المشهور في حروب المسلمين ضد الغزاة الاوروبيين لبلاد الشام ومصر فيما يعرف بالحروب الصليبية، بالقول[٢٩]: " يحار المرء في الوصول إلى حقيقة شخصية صلاح الدين، وسبر أغوار نفسيته المشوشة، خاصة وهو بطل معركة حطّين التي انتهت في الرابع من تموز عام ١١٨٧ م بتحرير القدس من أيدي الصليبيين، وتحقيق نصر مؤزر عليهم... ولكن المؤرخ والمفكر الكبير السيد حسن الأمين دوّن في كتابه (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين) ما يلي: (لم يكد يطمئن إلى النصر الرائع في تلك المعركة، حتى أسرع إلى القيام بعمل لا يكاد الإنسان يصدقه، لولا أنه يقرأ بعينيه تفاصيله الواضحة، فيما سجله مؤرخو تلك الحقبة، المؤرخون الذين خدرت عقولهم روائع استرداد القدس، فذهلوا عما بعده، لم تتخدر أقلامهم فسجلوا الحقائق كما هـي، وظل تخدير العقول متواصلاً من جيل إلى جيل، تتعامى حتى عما هـو كالشمس الطالعة، حصل بعد حطين أن صلاح الدين الأيوبي آثر الراحة بعد العناء، والتسليم بعد التمرد، فأسرع يطلب إلى الإفرنج إنهاء حالة الحرب وإحلال السلام.

ولكي يتوصل صلاح الدين إلى إحلال السلام وإنهاء حالة الحرب مع الصليبيين، رضخ بصورة مذهلة وغريبة إلى كل الشروط التي اشترطوها عليه أثناء المفاوضات، ومنها: التنازل للصليبيين عن الكثير من المدن التي كان صلاح الدين قد استردها منهم بالحرب.. حيفا - يافا – قيسارية– نصف اللد ونصف الرملة – عكا – صور – وسوى ذلك، حتى صارت لهم فلسطين إلاّ القليل.

إضافة إلى ماوراء ذلك من اعتراف بوجودهم وإقرار لاحتلالهم، ورفع العنت والمعاناة عن رقابهم الموضوعة تحت سيوف المجاهدين، وإعطائهم الفرصة الذهبية للراحة، والاستعداد التام للانقضاض على القدس من جديد، الأمر الذي حصل فعلاً بعد موت صلاح الدين.

ويقول الدكتور حسين مؤنس: (ثم دخلوا في مفاوضات مع صلاح الدين انتهت بعقد صلح (الرملة)، الذي نصّ على أن يترك صلاح الدين للصليبيين شريطًا من الساحل، يمتد من صور إلى يافا، وبهذا العمل عادت مملكة بيت المقدس – التي انتقلت إلى طرابلس– إلى القوة بعد أن كانت قد انتهت، وتمكن ملوكها من استعادة الساحل حتى بيروت... وبذلك تكون معظم المكاسب التي حققها صلاح الدين – فيما عدا استعادته لبيت المقدس – قد ضاعت".

وقد كانت أهم مواطن النقد التي وُجّهت الى صلاح الدين الايوبي في أنه لم يعمل بالآية: "وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله"(الآية ٦١، سورة الأنفال)،، حيث لوحظ:

١- إن صلاح الدين هو الذي طلب الصلح والهدنة، وبادر إليها رغم أنه المنتصر في معركة حطين التي انتهت بتحرير القدس.

٢- أن الصليبيون استغلوا لدرجة بالغةً هذه المبادرة السلمية من صلاح الدين، وفرضوا عليه شروطهم كاملة.

٣- أن صلاح الدين لم يحقق أيًا من مقتضيات الجنوح الإسلامي إلى السلم، فالصليبيون لا يزالوا محتلين لمنطقة كبيرة جدًا من البلاد الإسلامية.

٤- أن صلاح الدين تنازل للصليبيين عن مناطق أخرى ومدن مهمة كانت في يده"

صلح الحديبية[٣٠] (٦هـ/٦٢٨م.).

صلح الحديبية هوعقد تمّ في صدر الإسلام بين المسلمين بقيادة الرسول محمد بن عبد الله وبين قريش التي لم تكن تدين بالإسلام آنذاك وكانت المدة المقررة للإتفاق عشرة سنوات، فاوض قريش عليها عثمان بن عفان.

شروط الصّلح

- أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.
- وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه.
- أن لا تكون عداوة أوخيانة بين الطرفين.
- أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل.

صلح الرملة[٣١] (١١٩٢/٩/٢)

عقد هذا الصلح بين الناصر صلاح الدين الأيوبي، وريتشارد قلب الأسد بعد أن فشل ريتشارد في احتلال القدس. وقد مثل صلاح الدين في المفاوضات لعقد الصلح ولداه: الملك الأفضل، والملك الظاهر، وأخوه الملك العادل، وناب عن ريتشارد في التوقيع هنري دي شامبانيا (الكند هنري) وباليان دي ايبلين (يبني) وادنفروا الرابع دي توردن. ونص الصلح على:

- أن يسود السلام بين الفريقين ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.
- أن يكون الصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا، بما فيها قيسارية وحيفا وارسوف، وتبقى صيدا وبيروت وجبيل للمسلمين.
- تكون عسقلان مدينة غير مسلحة في أيدي المسلمين.
- تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين.
- تبقى القدس في أيدي المسلمين والصليبيين.
- تبقى القدس في أيدي المسلمين على أن يكون للمسيحيين حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بأية ضريبة.

وأعلن صلاح الدين أن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم أن يدخل بلادنا فليفعل ومن شاء من بلادنا أن يدخل بلادهم فليفعل.

الاسلام والديموقراطية وثقافة الحوار والاقناع

بالرغم من مرافقة الجيوش العسكرية للمسلمين في فتوحهم للبلدان ودعوة اهلها للاسلام،، الا أن هذه الجيوش قد التزمت بالتعليمات المشددة التي أُعطيت لها من الخلفاء والقيادات العسكرية، كما مارس الدعاة المسلمون التسامح واساليب الحوار والاقناع في التعامل مع السكان وجذبهم سلمياً للاسلام. ان قصة فتح لمصر تبين مدى مدنية الاسلام والمسلمين.

عمرو بن العاص محرر مصر[٣٢].

obeikandi.com

كانت مصر من أهم ولايات الإمبراطورية الرومانية، وقد استغل الروم ثرواتها وحرموا منها السكان واستباحوا أهلها حتى أصبح الناس في ضيق لأن الروم فرضوا عليهم مذهبهم الديني قسرا، فلما بلغ المصريون أنباء الفتوحات الإسلامية وعدالة المسلمين وسماحتهم تطلعت أنظارهم إليهم لتخليصهم مما هم فيه، واتجه عمروبن العاص رضي الله عنه سنة (١٨ هجري) على رأس جيش من أربعة آلاف مقاتل متجها الى مصر، وأمام شدة المقاومة طلب عمرو المدد من أمير المؤمنين فأرسل إليه أربعة آلاف جندي وتقدم المسلمون وحاصروا حصن بابليون لمدة سبعة أشهر وتمكنوا من فتحه.

ثم اتجهوا الى الإسكندرية فوجدوا مقاومة من حاميتها فامتد حصارها الى أربعة أشهر وأخيرا فتحت الإسكندرية وعقدت معاهدة الإسكندرية، ولقد كان رضي الله عنه حريصا على أن يباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة، ليظل القتال محصورا بينه وبين جنود الرومان، وتحدث عمرو مع زعماء الأنصار وكبار أساقفتهم فقال: إن الله بعث محمدا بالحق وأمره به ، وإنه عليه الصلاة والسلام قد أدى رسالته ، ومضى بعد أن تركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار الى الناس، فنحن ندعوكم الى الإسلام، فمن أجابنا فهو مِنا لهمالنا وعليه ما علينا، ومن لم يُجِبنا الى الإسلام عرضنا عليه الجزية وبذلنا له الحماية والمنعة ، ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا، وأوصانا بأهلها خيرا فقال ": ستفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بِقبطها خيرا، فإن لهم ذِمة ورحِما فإن أجبتمونا الى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذمة الى ذمة . ولما فرغ عمرو من كلماته، فصاح بعض الأساقفة والرهبان قائلين:" إن الرحِم التي أوصاكم بها نبيكم لهي قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء".

شهادات غير مسلمين في مدنية الاسلام والمسلمين

نظرًا للهجمة العنصرية المستعرة على الاسلام والمسلمين ، القادمة حاليًا للأسف من بعض الجهات في الغرب وبعض الشرق، والمتسرعة غالبًا في أحكامها المُسبقة سيئة النية، نورد الشهادات التالية في مدنية الاسلام والمسلمين[٣٣]:

١- الدكتور غوستاف لوبون يدلي بشهادته .فيقول :كان محمد كثير المسامحة لليهود والنصارى، خلافًا لما يظن. وان القوة لم تكن عاملاً بانتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين احرارًا في أديانهم ولم ينتشر الإسلام السيف،بل بالدعوة وحدها.. وقال أيضًا : كانت الطريق التي يجب على الخلفاء ان يسلكوها واضحة فعرفوا كيف يحجمون عن حمل احد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يتعدون، خلافًا لمزاعم الكثيرين، عن اعمال السيف فيمن لم يسلم.

وقال: يثبت لنا سلوك امير المؤمنين عمربن الخطاب في مدينة القدس، مقدار الرقي العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلولة.

وقال أيضًا: لم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر،أقل رفقًا من ذلك، فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة، وعدلاً مطلقًا، واحترامًا للأموال، فأقبلوا على اعتناق دين العرب ولغتهم إيما اقبال.

وقال :كانت المساواة في عهد الخلفاء الراشدين تامة، وكانت الشريعة للجميع على السواء.

٢- الراهب ميشو ، في كتابه "رحلة دينية في الشرق" قال: من المؤسف ان تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين،التسامح الذي هو آية الإحساس بين الأمم، واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة.

وقال في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" : إن الاسلام، الذي امر بالجهاد، متسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، فقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم محمد قتل الرهبان على الخصوص،لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطابالنصارى بسوء، حين فتح القدس.

٣- روبرتسون في كتابه "تاريخ شاركلن" قال "إن المسلمين وحدهم، هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، فهم مع امتشاقهم الحسام نشرًا لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه احرارًا في التمسك بتعاليمهم الدينية.

٤- ول ديورانت صاحب تاريخ "قصة الحضارة"، قال:

لم يكن اعداء الإسلام من اهل الكتاب، يخيرون بين الإسلام و السيف، بل كان الخيار بين الإسلام والجزية.

وقال :اصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية،والذين كانوا يلقون صورًا من الإضطهاد على يد
بطاركةالقسطنطينية،وأورشليم،والإسكندرية،وانطاكية،اصبح هؤلاء أحرارًا آمنين تحت حكم المسلمين.

وقال : بلغت العلاقة بين الدينين في وقت من الأوقات درجة من المودة، تبيح للمسيحيين الذين يضعون الصلبان على صدورهم،أن يؤموا المساجد، ويتحدثوا فيها مع أصدقائهم المسلمين.

وقال :كانت طوائف الموظفين الرسميين في البلاد الإسلامية، تضم مئات من المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رُقوا الى المناصب العالية في الدولة من الكثرة،درجة

obeikandl.com

أثارت شكوى المسلمين.

وقال : كان المسيحيون في بلاد الشرق، يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطية وكنيستها.

وقال : إن المسلمين كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين، احفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية ماارتكبه المسيحيون.

وقال: : " وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا أن محمداً كان أعظم عظماء التاريخ. فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ".

٥- دانيال روبس في كتابه "تاريخ الكنيسة" يشهد على حقيقة الأخلاق المدنية الإسلامية، فيقول: إن اعمال التخريب الكبرى التي نسبوها للإسلام كتخريب مكتبة الإسكندرية، ليس لها أي أساس تاريخي، وفي بعض المناطق يبدو ثابتاً إن ملوكاً مسلمين ساعدوا في اعادة بناء كنائس.

٦- المطران ناوفيطوس . يقول: " لم يدر في خلد النبي قط أن يفرض شريعته على أمة أخرى، وذلك إجلالاً منه للوحي المتقدم النزول، وتوقيراً لمشيئة الله الذي أراد أن تتنوع الأديان".

٧- لومارتان ، قال: " إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (ص) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل محمد (ص) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة .

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر من الله. وكان طموح النبي (ص) موجها بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (ص) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى

openkandil.com

(وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة)."

٨- مونتجومري: كتب "إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدا مُدّع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد."

٩- بوسورث سميث، قال: " لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها."

١٠- جيبون أوكلي، قال : " ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرنا من الزمان .

لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول" أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين."

١١- الدكتور زويمر، قال : "إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا، ومفكرًا عظيمًا، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء" .

١٢- سانت هيلر :" كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات

openkandil.com

الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة".

١٣- إدوار مونته، قال: "عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظًا على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم".

١٤- برنارد شو، قال:" إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها."

ويضيف الفيلسوف الإنجليزي الشهير برنارد شو قولته الخالدة " : لقد كان دين محمد موضع تقدير سامي لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة " .. حيوية يعني دائم النشاط ، ويقول . " وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة. وأرى واجبًا أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وإن رجالاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث فسوف ينجح في حل مشكلاته ،، وأحل في العالم السلام والسعادة وما أشد حاجة العالم اليوم إليهما ."

ولقد وجد برنارد شو في شخصية الرسول محمد ما دعاه إلى أن يصفه بأنه منقذ البشرية فقال " : لقد عمد رجال الاكليروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان ، وذلك بسبب الجهل وبسبب التعصب الذميم ، والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد وكراهية دينه ويعدونه خصمًا للمسيح".

١٥- السير موير، قال: " إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم".

Openkonan.com

١٦- سنرستن الآسوجي، قال: " إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ" .

١٧- المستر سنكس، قال : " ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة. إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة" .

١٨- آن بيزيت، قالت: " من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم .

هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفياً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره - السن التي تخبو فيها شهوات الجسد - تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص .

فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية .

١٩- مايكل هارت، قال: " إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي . فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته .

ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل

في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها."

٢٠- تولستوي، قال: " يكفي محمدًا فخرًا أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة" .

٢١- شبرك النمساوي، قال: "إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته" .

٢٢- المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي ويلز: يقول في كتابه (ملامح تاريخ الإنسانية)" كان يمكن لأي متنبئ تاريخي يستعرض حياة البشر في مستهل القرن السابع الميلادي أن يتوقع بحق أنه لن تمضي بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وأسيا تحت سيادة المغول والتتار إلى أن قال: ولكن هذا المتنبئ كان سيخطئ في تقديره فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو مائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومدوا حكمهم ولغتهم من أسبانيا إلى حدود الصين مقدمين للعالم ثقافة جديدة ومنشئين دينًا لا يزال حتى اليوم إحدى القوى الحيوية في العالم . وكان محمد بن عبد الله هو الذي أشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله ، والذي ظل حتى سن الأربعين لا يميز نفسه بشيء غير عادي عن بقية معاصريه" .

٢٣- استافلو قون : يقول في كتابه" حضارة العرب" وهو كتاب مشهور متداول مطبوع بالغة العربية "دخلت حضارة العرب في ذمة التاريخ منذ زمن طويل " : ، وأضاف " ولا نقول مع ذلك أنهم ماتوا تمامًا فنرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين أدخلهما إلى العالم أكثر انتشارًا مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم ، ولا يزال الإسلام جادًا في تقدمه ، واليوم يدرس في ما عدا الجزيرة العربية في مصر وسوريا وتركيا وأسيا الصغرى وفارس وقسم مهم من روسيا وأفريقيا والصين والهند. وتناول القرآن مدغشقر وأفريقيا الجنوبية ، وعرف في جزر الملايو وعلمه أهل جاوا وسومطرا ، وتقدم إلى غينيا الجديدة ، ودخل أمريكا مع زنوج أفريقيا ، ويتقدم الإسلام في الصين تقدمًا يقضي بالعجب ، حتى اضطر المبشرون الأوربيون إلى الاعتراف بالحدود وسيقوم الإسلام مقام البوذية ومسلمو الصين لا يشكون في ذلك " ... إلى آخر ما قال " مما يدل على أن نور الإسلام سيشع وينتشر "

٢٤- دوقلس أرثر : يقول " : لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل.

كافة المشكلات ، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأس مالية والشيوعية على السواء ، فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الإنسان ، أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء ، والأمل والهدى للحيارى والضالين ، وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانيات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية".

٢٥- دائرة المعارف البريطانية تحت مادة " محمد". تقول: " محمد بن عبد الله مؤسس الدين الإسلامي ولد في مكة ، وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد . لقد أحدث أثرًا دينيًا عميقًا لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحي والشريعة المتبعة لأكثر من ١ / ٧ سكان العالم على أن أثره التاريخي يكتب الأكثر ، عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة ، منذ بدء دعوته ، قوض دعائم إمبراطوريتين وهما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية مؤسسًا على أنقاضهما حضارة جديدة . ولقد أرسى منذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية ، وقد أعقب موته أن سجل خلفاؤه الأحاديث التي رويت عنه وأدق التصرفات والأفعال التي قام بها فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراسًا ومثلاً أعلى يحتذونه في حياتهم اليومية جيلاً بعد جيل".

٢٦- ادوارد بيرنز: يقول في كتابه " الحضارة الغربية" ما نصه " : أن عظمة الحضارة الإسلامية وأهميتها لا ترجع إلى أنها تدينفقط بدين جديد آمن به الملايين من الناس في أماكن متعددة ومتفرقة،، وإنما فيما أحدثته أيضًا من تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة، نتج عنها ثراء فكري وتراث حضاري لم يسبق له مثيل. وقد تضمنت الحضارة الإسلامية الآداب والخلاق والفلسفة والمنطق كما كانت ذات تأثير خاص في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية".

هوامش الدراسة

1- Bina shah. Islam and the Age of Globalization, June 2006. Retrieved May 2007(www chowk com).

2- Bella, R. and Hammond, P. Varirty of Civil Religion.": Retrieved May 2007(www.religiononline.org/);

* Cold War Culture."A Civic Religion of the American Way of Life." . Retrieved May 2007(www.colorado.edu/); and

* University Oregon. Civic Religion and civic Patronage. . Retrieved June 2007 (scholarbank.uoregon.edu/).

٣- المرجع كما في ٢

٤- محمد شحرور. مفردات قاموس الثورة النبوية الأصالة الثورية .الانترنت في ايلول٢٠٠٧(البلاغ نت)

٥- عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطىء. سيدات بيت النبوة. المملكة المغربية: دار الريان للتراث، ١٩٨٨)

6- Boone, P. The Role of Religion in Public Life. The Sun Diego-Union-Tribune, April 2005. Retrieved June 2007 (www.signonsadiego.com/);

* Byker, G. The Religious and Mral Foundation of Civil Society and the Free Market Economy. JIS X111,2001. Retreived June 2007;

* Choudhurg,E. Culture, Religion and Inclusive Public Discourse. JIS X111,2001. Retreived June 2007;

* Kamaras,I. Civil Soceity and Religion in Post-Communist Hungary. JIS X111,2001. Retreived June 2007;

* Kazmina, O. Freedom of Religion in Post-Soviet Russia. JIS X111,2001. Retreived June 2007;

* Jeynes,W. Religious Commitment and Adolescent Behavior. JIS X111,2001. Retreived June 2007;

* Chris. Mixing Groups. Does Religion Make You Meaner or Nicer? Inquiry Minds… Feb. 2007. Retreived June 2007;

* Novak, M. Religion and Liberty: From Vision to Politics. Religion-online. Retreived June 2007 (www. religion-online.org/);

* Szablya, H. and Magnino, L. Largest – ever survey of life Happiness Highest in socially connected communities The Kennedy school , March 2001 . Retrieved May 2007.

7-Bently, R.and Others. Religion, Youth and Philanthropy. Learning to Give. 2007. Retreived June 2007 (www.learningtogive.0rg/)

8- Mills,R.K. Social Studies and the Spiritual Nature of Civic Behavior. Fall 1977. Retrieved June 2007.

9- Harsh,R. Self in Society.Retreived June,2007 (faculty.plattsburgh/)
10- Gallup, G. Religion and Civic Virtue at Home and Abroad. FPRI Wire, Vol. 4, No. 1, June 1996. Retreived June 2007 (www.fpri.0rg/);
11- Greenberg, Liane. The Role of Religion in Giving and Volenteering. Canadian Center for Philanthropy, 2003. Retreived June 2007
12- Baylor University. Religion and Prosocial Youth Behavior. Oct. 2006. Retreived June 2007(www. Baylor.edu/)
13- Mol, Hans. The Identity Model of Religions: How it Compares with Nine other Theories of Religion and how it Might Apply to Japan. Japanese Journal of Religious Studies, 1979. Retrieved May 2007.
14- Strahan, B. Does Religion Support Family Relationships? It Depends on What Kind of Religions. Australian Family Research Conference , 1996. Retrieved May 2007.
15- Smidt. C. and Others. Religion and Civic Responsibility. The Research Team for the Civic Responsibility Project. Calvin College,USA. Retrieved May2007 9www. Calvinedu/)
16- Szablya, H. and Magnino, L. Civic Engagement in America. March,2001. Retrieved May 2007 (www.cfsv.org/).
17- College Ave. Religious Relationships. Vol. 2, Issue 4,2007. Retreived June 2007
18- Keysar. A. and Kosmin, B. Secular Americans: Free Thinkers in a Free Market of Religion. ISSSC Website, 2007. Retreived June 2007 (www.trincoll.edu/).
19- Etzioni, A. Religion and the State- Why Moderate Religious Teaching Should be Promoted. Retreived June 2007
20- Regnerus, M. and Others. Religion in the Lives of American of American Adolescents: A Review of the Literature. The National Study

Obeikandl.com

of Youth and Religion, 2003. Retreived June 2007 (www. youth and religion.0rg/)
21- Pancer,S. and Pratt, M. Social and Community Determinants of Community Service Involvement in Canadian Youth. In, Miranda Yates and Youniss,j. (edrs.). Roots of Civic Identity. New York: Cambridge University Press, 1999. Retrieved May 2007.
* McDowell, J. How Religion Affects Teens. Retreived June 2007(www.josh.org/)
* Roehlkkepartain, E. and Others.Growing up Generous: Engaging Children in Giving and Serving. Bethesda, MD: The Alban Institute,2000. Retrieved May 2007.
* youniss,j. and OTHERS. Religion, Community Service ans Identity in American Youth.Journal of Adolscence,Vol.22, 1999. . Retrieved May 2007.
22- Jo Bane, M. The Catholic Puzzle:Parishes and Civic Life. Retreived June 2007 (ksgnotes1.harvard.edu/)
23- Learning to Give. Growing a Citizen: Lesson 1: What Would Moses, Jesus, Mohamed, Buddha and Krishna Say? 2006. Retreived June 2007
24- Maser, Werner.Translated from German by Peter and Betty Ross. Hitler-Legend, Myth and Reality. New York: Harper & Row, 1974
٢٥- شريف محمد هاشم. بهذه الأخلاقية انتصر المسلمون على الروم. الانترنت بتاريخ ايلول ٢٠٠٧ (البلاغ نت).
٢٦- الانترنت ٢٠٠٧/٧/٢٩، مجلة الجامعة الاسلامية www.iu.edu.sa
٢٧ - الانترنت في ٢٠٠٧/٧/٢٩ . المركز الفلسطيني للإعلام.
٢٨- الانترنت في ٢٠٠٧/٧/٢٩. منتديات الصحبة الصالحة
٢٩- إبراهيم محمد جواد. صلاح الدين الأيوبي - بين الأسطورة والواقع. عن: كتاب: (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين) للسيد حسـن الأمين ص ١٤٤. ومن الطريف أن (العادل) وهو أخو صلاح الدين ومندوبه الذي فاوض الصليبيين، حاول إغراء ريتشارد قلب الأسد ملك الإنكليز أن يزوجه أخته فتتوحد

المصالح وتمتزج الأهداف. المصدر السابق ص ١٢٤- ١٢٥ ينقله عن: (الفتح القسي في الفتح القدسي) للعماد الأصفهاني (صحارى نت . بتاريخ تموز ٢٠٠٧ ،www.sahara.com).

٣٠- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. الانترنت، ايلول ٢٠٠٧ .

٣١- الانترنت في ٢٠٠٧/٧/٢٩.الهيئة العامة للاستعلامات، السلطة الوطنية الفلسطينية).

٣٢ - الانترنت ٢٩/ ٧ / ٢٠٠٧ الوله نت.

٣٣- أُقتبس مع التعديل من : شريف محمد هاشم. بهذه الأخلاقية انتصر المسلمون على الروم (عن كتاب: الاسلام والمسيحية في الاسلام). الانترنت بتاريخ ايلول ٢٠٠٧(Balagh.com البلاغ نت).

وابوبلال(مشرف عام- منتديات طريق الايمان). شهادة غير المسلمين في محمد (ص). الانترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٣٠ www.imanway.com.

*****

obeikandl.com